بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

إن اللغة العربية معيارية في معظم قواعد بنائها وصياغة جملها، فمستويات اللغة تبدأ من الأصوات لتشكل الكلمات، والكلمات تتناسق لتشكل الجمل بنوعيها الاسمية والفعلية. وتتضام الجمل لتشكل الفقرات، ومن الفقرات تتشكل النصوص. وكل هذا يسير وفق أنظمة وقوانين لغوية لا يخرج الأديب عنها إلا ضمن معايير استثنائية محددة ، وبشروطٍ معروفة يجب أن يلتزم بها، فإذا خرج عن المألوف فقد انزاح وحاد عن السمت المتعارف عليه ، ولذلك نرى أن الشعراء يحيدون عن سمت العربية أكثر من الكتاب، وذلك طلباً لاستقامة الوزن والقافية ولتأدية معانٍ دلالية تكون أعمق وأبلغ وأشد تأثيراً على النفوس في حالة الخروج على قواعد اللغة وضوابطها، ولذلك كانت الضرورات الشعرية.

بل إن الأديب، ولاسيما – الشاعر – الحديث، يخرج كثيراً عما أبيح له في الضرورات معتمداً على مقولة "يحق للشاعر ما لا يحق لغيره"، بل ويبحث عن معانٍ جديدة يرى أن تحقيقها بالطرق المألوفة في صياغة الجمل والتراكيب أمر غير ممكن، فكان عليه أن ينزاح لتحقيق ما يصبو إليه ، وشد انتباه السامع أو القارئ.

وعليه فإن عملية الانزياح تؤثر في القائل والنص والمخاطب جميعاً، ولذلك فإن اللغة الشعرية لا تخضع للمعاني المعجمية بقدر ما تخضع للمعاني الإيحائية التي هي في نفس الشاعر أو الأديب، التي تخدم من خلالها الرسالة التي كتبت من أجلها.

ولو لم يكن المعيار لما كان الانزياح عند الأسلوبيين، ولما عدوا الانزياح هو الأسلوب ذاته ؛ فهو الذي يمكن بواسطته التعرف على طبيعة الأسلوب، بل ربما كان هذا الانتهاك هو الأسلوب نفسه. وما ذلك إلا لأن الأسلوبيين نظروا إلى اللغة في مستويين : الأول : مستواها الطبيعي في الأداء العادي، والثاني : مستواها الإبداعي الذي يعتمد على اختراق هذه الطبيعة وانتهاكها.

ومن هنا نجد أن العرب كانوا ذوي حسٍ نقدي، ولهم جهود مقدرة في هذا المجال – لاسيما في العصرين الجاهلي والإسلامي – إلا أنها كانت أقرب إلى الانطباعات والملاحظات السريعة القائمة على الذوق والإحساس وقيمة الكلمة وموضعها في السياق، ولذلك لم تكن هذه الملاحظات تستند إلى نظريات وقوانين.

أهمية الموضوع :

تكمن أهمية هذا الموضوع في التعرف على منهج الانزياح، وقيمته في الدرس اللغوي، ومن ثم مقابلة هذا المنهج النقدي الأسلوبي – الانزياح – بنظرية "النظم" للإمام عبد القاهر الجرجاني في كتابه "دلائل الإعجاز" وذلك للربط بين الدراسات اللغوية الحديثة وجهود الجرجاني في هذا المجال.

الدراسات السابقة :

تعتبر الأسلوبية الحديثة وعاءً شاملاً يجمع أفرعاً مختلفة من العربية، ويسوقها في تشكيلة متناغمة مترابطة.

ولما كان الانزياح من أهم مناهج الدراسة الأسلوبية الحديثة فإننا نجد عدداً من الكتاب والنقاد الذين تحدثوا في جانب الانزياح وأهميته وقيمته. فمن ذلك الورقة البحثية التي قام بها الدكتور

"هاشم ميرغني" في مجلة العلوم والتقانة التي تصدر عن جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا في عددها الخامس من المجلد العاشر الموافق لشهر نوفمبر 2009م – والتي جاءت بعنوان أسلوبية الانزياح ودورها في التحليل النصي : رواية (عصافير آخر أيام الخريف) نموذجاً، وقد قصد الباحث من دراسته تلك إلى معرفة المفاهيم الأساسية لأسلوبية الانزياح، ودراسة طبيعة هذه الانزياحات، ونوع السياق أو المعيار الذي تخترقه ، والاعتراضات التي جوبهت بها أسلوبية الانزياح.

وكان من أهم نتائج هذه الدراسة معرفة الانحرافات الجدولية ، والتركيبية والقاموسية وغيرها، والتي يمكنها أن تكشف عن الكثير من دلالات النص التي قد تغيب في الدراسة النقدية التقليدية.

ويأتي بعد ذلك كتاب "نظرية النظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللغوية" للدكتور وليد محمد مراد، وكتاب "الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية" للدكتور أحمد محمد ويس، و"اللغة والأسلوب" لحسن حميد و"علم اللغة والدراسات الأدبية" "لبرند شبلنر" ترجمة وتحقيق محمود جاد الرب، ولعل من أهم الكتب التي درست الانزياح وتوسعت فيه بشكل كبير وعرض مفصل، هو كتاب "شعرية الانزياح" للدكتورة خيرة حمر العين، وأيضاً كتاب "الأسلوبية الرؤية والتطبيق" للأستاذ الدكتور يوسف أبو العدوس.

ومما يلاحظ أن الانزياح يرد غالباً في شكل مقالات مختصرة تتوزع بين الكتب والدوريات المختلفة ، ولم يأخذ حقه الكامل من الدراسة والبحث.

سبب اختيار الموضوع :

يأتي اختيار الموضوع صلةً بين الأسلوبية الحديثة ، وعلوم اللغة، والبلاغة والنقد الأدبي، والنحو والصرف...الخ، إذ يتمم بعضها بعضاً، ونقطة الانطلاق هي اللغة وما تحوي من إيحاءات ودلائل.

مشكلة الدراسة :

تتمثل هذه الدراسة في معرفة مفهوم الانزياح بنوعيه "الدلالي والتركيبي" وما يقابله من دراسات سابقة في نظرية "النَّظْم" لعبد القاهر الجرجاني".

أهداف الدراسة :

تهدف هذه الدراسة إلى :

1. معرفة مفهوم الانزياح وأنواعه وأهدافه.
2. الالتفات إلى دور الانزياح وما يهدف إليه في الدرس اللغوي.
3. الربط بين أسلوب الانزياح في علم اللغة الحديث، ونظرية "النظم" للإمام عبد القاهر الجرجاني في كتابه "دلائل الإعجاز".

منهج الدراسة :

تعتمد هذه الدراسة على المنهج الوصفي الذي يقوم على التحليل والتطبيق في عملية الربط والمقابلة بين مفهوم الانزياح وحيثيات نظرية "النظم".

حدود الدراسة :

تتناول هذه الدراسة مفهوماً حديثاً في تسميته ، قديماً في وجوده ؛ وهو مفهوم الانزياح بشقيه الدلالي والتركيبي، حيث تعمل على تطبيقه ومقابلته بنظرية "النظم" في كتاب "دلائل الإعجاز" الذي ألف في القرن الخامس الهجري.

أسئلة الدراسة :

تدور أسئلة هذا البحث حول :

1. ما هو مفهوم الانزياح وما أهدافه وأنواعه ؟
2. ما دور الانزياح في اللغة الأدبية ؟
3. ما هي أنواع الانزياح ؟ وما أثرها في فهم النص ؟
4. ما العلاقة بين مفهوم الانزياح الحديث ونظرية "النظم" ؟

تبويب الدراسة :

تحوي هذه الدراسة تمهيداً وثلاثة مباحث وخاتمة. فالتمهيد يتحدث عن مفهوم الأسلوبية ونشأتها ومستوياتها ومناهجها النقدية التي يمثل "الانزياح" أحد عناصرها النقدية ثم يأتي بعد ذلك المبحث الأول بحديث عن مفهوم الانزياح بصفة عامة ، ومن منظور الدراسات اللغوية بصفة خاصة ، مع ذكر لبعض مصطلحاته المختلفة ، ثم بيان لما تناوله اليونانيون وعلماء العربية القدامى والغربيون المحدثون. بعدها كان الحديث عن أنواع الانزياح، ومعاييره، ووظيفته ، ومحاذيره.

أما المبحث الثاني فقد كان بعنوان "نظرية النظم والانزياح الدلالي"، وفيه كان الحديث عن مفهوم الانزياح الدلالي وأهميته مع عرضٍ موجزٍ عن شخصية عبد القاهر الجرجاني، وأسلوبه في الكتابة ، ومفهوم "النَّظْم" الذي عناه في كتابه. بعد ذلك كان الشرح باستفاضة عن مفهوم الانزياح الدلالي وما يقابله في نظرية "النَّظْم". وقد اكتفيت بالإشارة إلى الاستعارة، والكناية، والتمثيل، والجناس والتنكير والتعريف كنماذج لكونها أظهر وأكثر وضوحاً في مادة الانزياح الدلالي.

أما المبحث الثالث فقد تناول الانزياح التركيبي وفيه بيان لمفهومه ومجاله وأهميته. بعدها تحدثت الدراسة عمَّا يقابله ويماثله من دراسات في نظرية "النَّظْم" مثل : التقديم

والتأخير، والحذف والذكر، والوصل والفصل. وقد كان اختيار تلـك النماذج للسبب نفسه في الانزياح الدلالي.

وكما هو معلوم فإن نظرية " النَّظـْم" تحفل بعدد هائل من الأمثلـة والشـروح والتحليلات النقديـة والأدبيـة ، مـن هنـا كـانت النماذج المذكورة لمجـرد التمثيـل لا الحصـر. ثـم تـأتي بعـد ذلـك الخاتمة متضمنة عددا من النتائج والتوصيات.

أهم المراجع :

أتناول في هذا البحث عدداً من المراجع أهمها :

1. كتاب "دلائل الإعجاز" للإمام عبد القاهر الجرجـاني، تحقيـق محمود محمد شاكر.
2. الأسلوبية الرؤية والتطبيق" للدكتور يوسف أبو العدوس".
3. المعنى في البلاغة العربية" للدكتور حسن طبل".